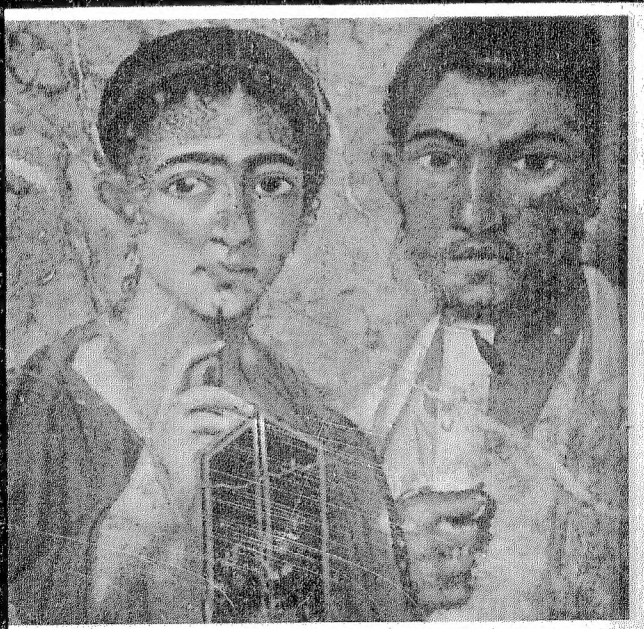


تراث الإنسانية  
١٧/١٧

# عن الصداقة

## لشيشرون



الهيئة  
المصرية  
العامة  
للكتاب

### د. أحمد عبد الرحيم أبوزيد

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤



عن الصداقة



# عن الصداقة لشيشرون

د. أحمد عبد الرحيم أبوزيد



مهرجان القراءة للجميع ٩٤  
مكتبة الأسرة  
(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلي

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الاتحاد الطباعي والفني

محمود الهندى

مراد نسيم

احمد صليحة

المشرف العام

د : سمير سرحان

# عن الصداقة لشيشرون د . احمد عبدالرحيم أبو زيد

---

يعتبر اسم « ماركوس توليوس كيكرو »  
Marcus Tullius Cicero المعروف لنا باسم « شيشرون »  
رمزا للفصاحة وذلك كما يرمز اسم « هوميروس » للشعر  
الملحمي واسم « شكسبير » للدراما .

ويمتدح البعثة « فيريو » Ferrero شيشرون  
لتأسيسه سلالة من الخطباء والمحامين والأساتذة مثل سلالة  
قيصر ورغم أخطاء هذه السلالة فقد كان لها ولا شك تأثير  
كبير على مصير أوروبا لا يقل عن تأثير القياصرة لفترة تقرب  
من ألفى عام .

وعاش شيشرون في عصر أخذت فيه روما مكانة بلاد  
اليونان باعتبارها مركزا للثقافة وكان لها المركز الأول بين  
أمم العالم .

ولم يكن لشيشرون مكانة أدبية ممتازة في عصره  
فحسب ، بل كان نموذجا ومعلما للأجيال اللاحقة .

ولد « ماركوس توليوس كيكرو » Marcus Tullius  
Cicero عام ١٠٦ ق م في مدينة صغيرة تسمى

« أربينوم » Arpinum تقع الى الجنوب من « روما » بحوالى خمسة وستين ميلا .

وكان أبوه يحمل نفس اسم « شيشرون » أما أمه فكان اسمها هيلفيا Helvia وكانا من أسرة زيفية متوسطة الحال ، وكان أبوه ينتمى الى طبقة الفرسان التى كانت تعتبر الطبقة الثانية فى الدولة ، ولم يلعب أبوه أو أى فرد من أسرته دورا هاما فى الحياة العامة .

وفى مدينة روما درس شيشرون النحو والبلاغة والفلسفة والقانون على أعظم أساتذة روما فى ذلك العصر فقد درس النحو على الشاعر اليونانى « أرخياس » Archias الذى اتهم بأنه خصل على لقب مواطن رومانى ضد القانون وقد دافع عنه شيشرون ونجح فى دفاعه الذى سجلته لنا خطبته المعروفة باسم Pro Archia وقد وصلتنا كاملة .

كما درس شيشرون البلاغة خاصة على « أبولونيوس مولون الرودىسى » (Appolonius Molon of Rhodes) وكان أساتذته فى الفلسفة هم فايديروس Phaedrus والابيقورى و « ديودوتوس » Diodotus الرواقى ( الذى كان يقطن منزل شيشرون لعدة سنوات ) و « فيلون » Philon الذى كان على رأس الأكاديمية التى كانت تسير على تعاليم أفلاطون وكان شيشرون قد التحق بالجيش فى سن الثامنة عشرة واشترك فى الحرب بين روما وحلفائها الايطاليين .



وقد اشترك في الحياة العامة وهو في سن الخامسة والعشرين ( سنة ٨١ ق م ) حيث قام بالدفاع في قضية مدنية خاصة بشخص يدعى « كوينكتيوس » Pro Quinctio وهي قضية غامضة معقدة مجهولة التفاصيل .

وفي السنة التالية سنة ٨٠ ق م - حيث كان « سلا » Sulla يحكم روما حكما مطلقا قبل شيشرون أن يتولى الدفاع في قضية « سكستوس روسكيوس » Sextus Roscius ضد « خريسوجونيس » Chrysogonus أحد أتباع « سلا » . ومضمون القضية أن والد « سكستوس » كان قد قتل في روما وأراد خريسوجونيس أن يستولى على أملاكه فاتهمه زورا بأنه عدو للشعب - ولم يكن كذلك - ولكي يضمن عدم احتجاج سكستوس الابن اتهمه بأنه قاتل أبيه ولقد نجح شيشرون في تثبيت جريمة القتل على أحد أقرباء سكستوس الذي كان له مصلحة في قتله .

ونلاحظ أن شيشرون في هذه الخطبة عرض بالنظام السياسي لسلا ، وإن كان قد ألقى تبعة فساد ذلك النظام على أتباع سلا ، في حين أنه امتدح سلا نفسه .

وقد حقق انتصار شيشرون في هذه القضية شهرة كبيرة له وجعله في مصاف أحسن خطباء العصر . وعقب ذلك رحل شيشرون الذي أنهكه العمل - إلى أثينا وروُدس سنة ٧٩ ق م ومكث هناك مدة سنتين يدرس الفلسفة والبلاغة فدرس الفلسفة في أثينا على الفيلسوف « أنتيوخوس » كما تلقى دروسه في البلاغة في « رودس »

على يد « مولون » أستاذه القديم الذى نصحه بأن يترك  
الأسلوب المنمق فى الخطابة .

ثم عاد شيشرون الى روما سنة ٧٧ ق م بعد أن  
تحسنت صحته وواصل عمله فى ميدان القضاء وربما يكون  
فى تلك الفترة قد تزوج من « تيرنتيا » Terentia  
وكانت امرأة ثرية ومتدينة ، ولكنها كانت متعصبة لأرائها  
وعصبية المزاج ، ورغم ذلك فقد ملكت على شيشرون عواطفه  
لمدة ثلاثين عاما حتى طلقت منه سنة ٤٧ ق م وكانت عوناً  
له فيما صادفه من محن بثباتها وصمودها طوال المدة التى  
عاشتها معه ، وقد أنجبت له طفلين هما « ماركوس »  
و « توليا » التى توفيت سنة ٤٥ ق م وحزن شيشرون  
على وفاتها حزناً عميقاً .

وفى سنة ٧٥ انتظم شيشرون فى سلك وظائف  
الدولة حيث عين « كوايستورا » ( وظيفة خاصة بالمالية )  
وذهب الى صقلية مع حاكمها الرومانى وقد خدم هناك بأمانة  
واخلاص وبدون تحيز ، حتى حاز اعجاب أهل صقلية .

وقد ساعده ذلك على أن يختار ممثلاً للاتهام فى قضية  
« فيريس » Verres حاكم صقلية الذى اتهمه أهالى صقلية  
بسوء حكمه فى الولاية وسلب أموالها ( سنة ٧٣ - ٧١  
ق م ) .

وفى سنة ٧٠ ق م ألقى خطبته المشهورة ضد فيريس  
واتهمه فيها بسلب أموال الولاية وقد تفوق شيشرون فى

دعواه على دفاع « هورتنسيوس » Hortensius الذى تولى مهمة الدفاع عن فيريس ، والذى كان من أعظم خطباء تلك الفترة .

وقد دافع شيشرون بعد ذلك فى عدة قضايا معظمها ينصل بمصالح طبقة الفرسان التى كان ينتمى إليها . وبعد انتصاره فى قضية « فيريس » بثلاث سنين حصل على وظيفة « أيديل » Aedile سنة ٦٩ ق.م . وهى وظيفة إدارية . وفى سنة ٦٦ ق.م أصبح برايتور Praetor - وظيفة فى السلك القضائى - وبعد أربع سنوات وفى عام ٦٣ ق.م أصبح قنصلا ، وأبرز حادث وقع أثناء قنصلته هو تلك المؤامرة التى دبرها « كاتيلينا » Catilina لقلب نظام الحكم فى روما . وقد كان كاتيلينا هذا من طبقة الأشراف ، وقد فشل فى الحصول على وظيفة قنصل فثار ثأرته ، وأعلن أنه يريد تطهير الدولة وإلغاء الديون ، تلك المطالب التى شغلت بال طبقة الفرسان . وقد اتهمه شيشرون - بحق - بأنه كان يبغي القيسام بمذبحة بين المواطنين ، والاستيلاء على الحكم بالقوة وأعد شيشرون خطبة ضد كاتيلينا وعندما ألقى خطبته الأولى بما فيها من قدح لاذع وذم لكاتيلينا كان ذلك كافيا لأن يجهر كاتيلينا بثورته ويعلن آراءه على الملأ ، وقد اكتشف شيشرون المؤامرة بفطنته وعوقب المتآمرون ، وأخيرا قتل كاتيلينا وألقى شيشرون خطبه الأربع ضد كاتيلينا .

وكان القضاء على هذه المؤامرة نصرا سياسيا شخصيا لشيخرون ولكنه لم يهنأ كثيرا بهذا النصر اذ حدث عقب ذلك أن رجع « بومبيوس » منتصرا من الشرق في عهد قنصليته فلم يستقبله شيخرون استقبالا حماسيا يليق بانتصاراته الباهرة ، فأثار هذا الأمر حفيظة بومبيوس عليه وقد عمل بومبيوس على التقرب من « يوليوس قيصر » و « كراسوس » الثرى ، وتكون من الثلاثة التحالف الثلاثي الأول سنة ٦٠ ق.م ، واتفق الثلاثة على تقسيم السلطة فيما بينهم ، ولم يكن في مقدور شيخرون أن يناهض هذا التحالف علنا ، وقد أراد أن يحبط نفسه بأنصار من الأشراف ، ولكن ذلك لم يحمه من النفي لمدة عام ( ٥٨ - ٥٧ ق.م ) بناء على اقتراح « كلوديوس » Clodius الذى كان يعمل لحساب أعضاء ذلك التحالف الثلاثي ، وكانت التهمة التى وجهت الى شيخرون ونفى بسببها هى أنه قتل أنصار كاتلينا بدون محاكمة . وفى سنة ٥٧ ق.م عاد شيخرون الى روما حيث عاش بعيدا عن ميدان السياسة ولكنه استمر فى الظهور فى دور المحاكم ، وفى سنة ٥١ ق.م عين حاكما فى « كيليكيا » بآسيا الصغرى لمدة سنة ، كانت بمثابة نفي له أيضا .

وفى الفترة ما بين سنة ٥٨ ق.م وسنة ٥١ ق.م قام شيخرون بعدة أعمال قضائية لم يتعرض فيها كثيرا للأعمال السياسية .

وعندما نشبت الحرب الأهلية بين قيصر وبومبيوس ( ٥٠ - ٤٨ ق٠م ) تردد شيشرون في اختيار الجانب الذى ينحاز اليه ويناصره ، وأخيرا قرر أن ينضم الى بومبيوس حيث تبعه الى « ديراخيوم » Dyrrachium فى بلاد اليونان سنة ٤٩ ق٠م ، ولكن عندما تم النصر لقيصر على بومبيوس فى موقعة « فارسالوس » سنة ٤٨ ق٠م اضطر شيشرون الى الخضوع لديكتاتورية قيصر .

وخلال فترة حكم قيصر الديكتاتورى كان مجال اسهام شيشرون فى الحياة العامة محدودا ، الأمر الذى هيا له فرصة التفرغ للانتاج الفلسفى الممتاز .

وحوالى سنة ٤٦ ق٠م طلق شيشرون زوجته « ترنتيا » Terentia وعقب ذلك بقليل تزوج من « بوبليا » Publia التى كانت تصغره فى السن ولم يحالف التوفيق هذه الزيجة ثم سرعان ما توفيت ابنته « توليا » Tullia وقد كان يعزها كثيرا ويفضلها على أخيها « ماركوس » ولذلك حزن كثيرا لوفاتها .

وقد سر شيشرون كثيرا بوفاة قيصر مثال الديكتاتورية . ولا عجب فشيشرون قد نصب نفسه للدفاع عن الجمهورية ، ولكنه لم يلبث أن تالم عندما أبصر الحكم عقب وفاة قيصر يتحول الى شبه ديكتاتورية على يد أشخاص يقلون كفاءة عن قيصر أمثال « أنطونيوس » الذى هاجمه .

شيشرون في حين أن « بروتوس » و « كاسيوس » كانا قد اختفيا من الميدان .

عند ذلك ابتعد شيشرون عن مدينة « روما » واعتكف في منزله الريفى حزينا مترددا حائرا لا يدري ماذا يفعل كما يتضح ذلك من رسائله ، وأخيرا صمم على مهاجمة « أنطونيوس » علانية ، وقد حفظ لنا التاريخ هذا الهجوم العنيف فى خطبة شيشرون المعروفة باسم « الفيلبيكا » *Philippica* — ١٤ خطبة — وقد ظهرت هذه الخطبة ما بين شتاء سنة ٤٤ ق.م وأبريل سنة ٤٣ ق.م . وقد عقد شيشرون الأمل على « أوكتافيوس » أحد قواد جيش الجمهورية فى « موتينا » *Mutina* ضد أنطونيوس الذى أراد أن ينتزع حكم ولاية بلاد الغال (*Gallia Cisalpina*) بالقوة ، وبالرغم من انتصار جيش الجمهورية على « أنطونبوس » فإن « أوكتافيوس » انضم الى أنطونيوس وكون معه ومع « ليبيدوس » *Lepidus* التحالف الثلاثى الثانى وبذلك انهضت كل آمال شيشرون فى انقاذ الجمهورية .

وأخيرا تغلب « أنطونيوس » و « أكتافيوس » على بروتوس وكاسيوس فى موقعة فيليبي *Philippi* فى مقدونيا سنة ٤٢ ق.م ، ولكنها قبل أن يتم لهما النصر فى تلك الموقعة قاما بعملية تطهير فى الدولة راح ضحيتها كثير من النبلاء والفرسان وكان من بينهم شيشرون الذى

كان في ذلك الحين معتكفا خارج روما ، وقد قتله جنود أنطونيوس في ٧ ديسمبر سنة ٤٣ ق.م وأرسلت رأسه الى روما حيث علقت في مجلس الشيوخ .

### أعماله :

يمكن تقسيم أعمال شيشرون الى ما يأتى :

- ١ - أعمال خطابية .
- ٢ - أعمال بلاغية .
- ٣ - أعمال سياسية .
- ٤ - أعمال فلسفية .
- ٥ - رسائل .

### الخطابة :

بقى لنا من خطب شيشرون - التى تتجاوز المائة - ما يقرب من ستين خطبة ألقاها فى المحاكم أو فى مجالس روما أو نشرها دون القائها - وقد ذكرنا بعض هذه الخطب عند الحديث عن حياته ، وهذه الخطب اما أن تكون سياسية الطابع أو لها صلة ما بالسياسة ، واما أن تتناول قضايا قانونية تتصل بالأفراد ويقوم شيشرون فى معظمها بدور الدفاع .

وقد كان للخطابة في عهد الرومان مكانة مرموقة ،  
تتجاوز المكانة التي تحتلها الآن ، ولقد كان المواطن الروماني  
يعتقد أن البلاغة كالحرب كلاهما هام وضروري للدفاع في  
قضية ما عن أحد الموكلين في وقت السلم ، له نفس أهمية  
الدفاع عن الدولة في وقت الحرب .

وفي أول عصر الجمهورية كانت الخطابة عملا شرفيا  
لا يتقاضى عنه أجر ولكنه في القرن الأخير منها أصبح مهنة  
مرجحة ، ومن هنا جاء الاهتمام بتعلم فن الخطابة .

وقد لعبت الخطابة دورا هاما في حياة روما  
السياسية ، حتى أنهم عدوها حرفة من الحرف علاوة على  
كونها فنا من الفنون الأدبية ، وكانت تدرس في المدارس  
الرومانية وكان للخطيب العام المكانة الأولى في الدولة  
باستثناء كبار رجال الجيش .

وقد أصاب شيشرون شهرة واسعة نتيجة لنجاحه  
في معظم هذه القضايا . وأهم ما في خطب شيشرون من  
مزايا هي تلك اللغة البليغة التي عالج بها هذه الخطب  
علاوة على مكانتها الرفيعة في عالم الخطابة والأدب .

ولقد مجد بعض كتاب الرومان القدماء هذه الخطب  
مثل المربي الروماني « كوينتيليانوس » الذي نادى بعد  
موت شيشرون بما يقرب من مائة وثمان وثلاثين عاما بأن  
خطباء الرومان يناقسون اليونان في أسلوب النثر الأدبي



ويضع شيشرون في مصاف كبار الخطباء اليونان مثل ديموستينيس .

ومعظم شهرة شيشرون مرجعها خطبه ، ولقد كانت أسس النقد الأدبي الروماني توضع دائما على أساس أسلوب شيشرون في خطبه ، ذلك الأسلوب الذي اعتبر في عصره والعصور التالية نموذجا للنثر الأدبي الرفيع للغة اللاتينية النقية .

وكان أسلوب شيشرون غزيرا في مفرداته ، فقد عمد الى تشكيل الجملة اللاتينية في صورة زمنية (period) وذلك بربط الجملة الرئيسية بعدة جمل فرعية بحيث تتكون من الجميع وحدة كاملة . كما كان يقوم بالحيل المختلفة في نظام تنسيق الكلمات في الجملة ، كما امتاز أسلوبه أيضا بالتوكيد والمقارنة والسؤال والتعجب وغير ذلك من الأساليب ذات التأثير البالغ على المستمع .

وقد امتد تأثير خطب شيشرون عبر جميع العصور باستثناء العصور الوسطى التي فضلت كتاباته عن البلاغة والموضوعات الأخلاقية .

فقد عرفت النهضة الأوروبية الحديثة فضل شيشرون وكانت القدرة على الكتابة باللاتينية هي أهم مقياس الثقافة ، واتفق العلماء الايطاليون في القرن الرابع عشر على أن لغة شيشرون لا تبارى كأداة للكلام والفكر .

وقد قلد الانجليز أسلوب « شيشرون » في عهد الملكة « اليزابيث الأولى » وكذا في العصور المتأخرة ، فمثلا كان أسلوب القسيس الأكبر ريتشارد هوكر Richard Hooker يشابه أسلوب شيشرون ، فقد كان يلجأ الى نظام الجملة الطويلة التي تشمل جملا فرعية كثيرة قبل أن يصل الى نهاية الجملة ، ومن الذين تأثروا بأسلوب شيشرون من الانجليز (John Milton) وان كان أسلوب ميلتون أكثر تفككا نظرا لأن اللغة الانجليزية لم يكن يسودها الصرف بنفس القدر الذي كان يسود به اللغة اللاتينية — وكذلك أثرت لغة شيشرون في القرن السابع عشر في كتابات الشاعر الانجليزي « بوب » (١) Pope .

وفي القرن الثامن عشر تمثل اعجاب الناس بشيشرون في مظهرين هامين من مظاهر الديمقراطية أولهما المحاكمة بواسطة « المحلفين » • وثانيهما المناقشة الحرة في مجلس العموم (House of Commons) فقد تأثر هذان النظامان بخطابة شيشرون ، وكانت تشتمل على موضوعات كثيرة متشابهة عالجه شيشرون في خطبه ، وكان الخطباء الانجليز يتمثلون بها •

وان ما كتبه شيشرون في الفيليبكا (Philippica)

---

(١) يذكر الكسندر بوب هذه الايات

O come, that easy Ciceronian Style  
So Latin, yet so English all the While ...

ضد أنطونيوس كانت محاولة لمنع الجمهورية الرومانية من التحول الى أوتوقراطية ، ولا شك أن هذا كان محببا لرجال الثورة الفرنسية الذين أرادوا أن يحولوا الموناركية الى جمهورية مستقرة .

وقد تأثر بها كذلك رجال الثورة الأمريكية .

## البلاغة :

لقد اهتم الرومانيون بدراسة البلاغة ، ومعرفة النظريات المختلفة عنها نتيجة لميولهم الخطابية وقد عر على كتاب مهدي لشخص يدعى « جايوس هيرينيوس » « Gaius Herennius » هذا الكتاب يشتمل على دراسات وبحوث فى البلاغة ، ولا يعرف على وجه التحديد مؤلف هذا الكتاب ، ويعزوه بعض الباحثين الى شيشرون ، ولكن هذه النسبة غير صحيحة ، لأننا نعث فى الكتاب على ما يدل أنه قد كتب بين سنتى ٨٦ ق.م و ٨٢ ق.م وأنه من عمل شخص ناضج متمرس ، ولقد كان شيشرون فى ذلك التاريخ لا يزال شابا .

ولعل السر فى نسبة هذا الكتاب الى شيشرون أن شيشرون استمد منه الكثير فى كتابه الأول عن البلاغة ( De Inventione ) .

وقد استمد هذا الكتاب مصادره عن اليونانيين .

عن الصداقة - ١٧

ويعالج الكتاب أنواع الخطابة ، ويقسم الأسلوب  
الخطابي الى ثلاثة أقسام :

١ - الأسلوب المفعم الرفيع « grand » .

٢ - الأسلوب البسيط « plain » .

٣ - الأسلوب الوسط « middle » .

وهذا التقسيم يتماشى مع الأهداف الثلاثة التي تهدف  
اليها الخطابة وهي :

١ - إثارة المشاعر .

٢ - إثارة المعلومات .

٣ - خلق روح المرح .

فقد ذكر المربي كوينتيليانوس كما ذكر الأقدمون من  
قبله ، أنه يجب أن تتوافر في الخطيب ثلاث مزايا :

اولا : قدرته على افهام سامعيه موضوع خطبته .

ثانيا : قدرته على إثارة مشاعرهم .

ثالثا : قدرته على إثارة روح المرح بينهم .

وهذه الصفات اعترف بها شيشرون ، بل وكان مثالا  
فيها ، فقد كان يتحلى بقدرة فائقة على عرض الموضوع الذي  
يعالجه على المستمعين ، بحيث يلمون بأطرافه كما كانت

له نفس القدرة على اثارة مشاعرهم والتأثير في نفوسهم  
واثارة روح المرح فيهم من خلال علاجه لموضوعه .

ولقد تأثر الرومان بمدارس البلاغة اليونانية ، التي  
كانت تتبلور في مدرستين رئيسيتين ، تمثل احدهما  
الأسلوب الرفيع الجزل (grand) وتسمى بالمدرسة  
الآسيوية وتمثل الأخرى الأسلوب السهل الواضح (plain)  
وتسمى بالمدرسة الأتيكية فكانت المدرسة الآسيوية  
( بأسلوبها الرفيع المشتل على كثير من العبارات الجزلة  
المفخمة ) تهدف الى اثارة الشعور ، والتأثير في نفوس  
المستمعين بواسطة هذا الأسلوب الرفيع .

وعلى العكس من هذا كانت المدرسة الابكية -  
بأسلوبها السهل البسيط البعيد عن كل تزيين - تهدف  
في الدرجة الأولى الى افادة السامع معلومات عن الموضوع ،  
وكانت تحارب أسلوب المدرسة الآسيوية الذي كانت نصفه  
بأنه أسلوب مصطنع يهدف الى الاثارة .

ويرجع تاريخ هاتين المدرستين الى العصر الهلينستي  
الذي يبدأ في القرن الثالث قبل الميلاد .

ويعتبر « هودينسيوس » - منافس شيشرون في  
الخطابة - من أعظم خطباء المدرسة الآسيوية .

أما المدرسة الأتيكية فكان يمثلها يوليوس قيصر  
وبروتوس ولم يشأ شيشرون أن يقيد نفسه بأسلوب أي

من هاتين المدرستين ، وفي ذات الوقت فانه لم يرفض مبادئ المدرستين ، واتما حاول أن يأخذ من كلا المدرستين ما فيها من مزايا وأن ينجنب ما فيها من عيوب .

فكان يأخذ على أسلوب المدرسة الآسيوية ما فيه من مبالغة وتضنع ، كما كان يعيب على أسلوب المدرسة الأتيكية أنه كان عاطلا من كل حلية ، الأمر الذي يبعده عن الغرض الحقيقي من الخطابة وهو التأثير في السامعين .

وشيشرون ينتقد الأسلوب الذي لا يؤثر في المشاعر فيعيب مثلا على خطبة بروتوس بعد موت قيصر انها كانت جافة ، وقاصرة عن التأثير ولذلك لم تستطع أن تكسب الجماهير .

ويرى شيشرون أنه ينبغي على الخطيب أن تنوادر لديه القدرة على التحدث بأي من الأسلوبين الآسيوي الرفيع المثير للمشاعر ، والأتيكي الاخباري البسيط هذا الى جانب الأسلوب المتوسط (middle) الذي يستعمل لاثارة المرح والسرور .

ويعتقد شيشرون أن الخطيب الحق هو الذي تنوافر لديه القدرة على التحدث بأي أسلوب حسب ما تقتضيه ظروف الخطبة . ومن هذا يتضح أن شيشرون لم يتقيد بانتهاج أسلوب واحد معين في خطبه .

ويحمل شيشرون الصفات التي ينبغي توافرها في

كل خطيب جيد فى خمس صفات رئيسية ، فالمتحدث  
الجيد فى رأيه لابد أن يتوافر فيه ما يلى :

- ١ - أن تكون لديه المقدرة على حسن اختيار مادته (٢) .
- ٢ - أن يكون ماهرا فى تنظيمها (٣) .
- ٣ - أن يجد التعبير عنها (٤) .
- ٤ - أن يتمتع بذاكرة قوية (٥) .
- ٥ - أن يحسن القاءها (٦) .

وبالإضافة الى هذا لا بد أن يتمتع الخطيب بثقافة  
واسعة .

وقد عالج شيشرون كل هذه القضايا الأدبية  
والفكرية ، وكثيرا غيرها فى كتبه عن البلاغة ، هذه الكتب  
التي تعتبر عملا فنيا فذا ، له من المزايا ما جعله محل  
اعجاب الجميع وتقديرهم .

فقد تناول شيشرون فى كتبه تاريخ الخطابة ،  
والخطباء الأول سواء عند اليونان أو عند الرومان .

---

Inventio.	(٢)
Dispositio.	(٣)
Elocutio.	(٤)
Memoria.	(٥)
Pronuntiatio.	(٦)

وأوضح لنا كيفية اعداد الخطيب وتدريبه ، والقدرات التي لا بد أن تتوفر لديه ، والسبل التي ينبغي له أن يسلكها ، وباختصار فقد أعطانا فكرة واضحة جلية عن الخطابة وإسرارها ، ذلك الفن الذي لم يبلغ إنسان في الإلمام به مبلخ شبشرون .

ولكن لا ينبغي أن نفهم من هذا أن شبشرون قد جاء في بحثه النظري بمبادئ عامة . فلقد استطاع اليونانيون أن يتفوقوا في أبحاثهم النظرية ، أما الرومان فقد أحققوا في ذلك .

وكان شبشرون يرى، أن خبرة الخطيب الروماني ينبغي ألا تكون قاصرة على معرفة خطباء اليونان فحسب ، بل لا بد لها أن تقوم أيضا على أساس من تلك الحضارة العظيمة التي كانت لروما .

وهكذا نلمس في كتاباته البلاغية والفلسفية روحا وطنية قوية تنغني بمجد روما وتهدف إلى وضع الثقافة الرومانية في مصاف الثقافة اليونانية .

لقد أراد شبشرون أن يبيح للرومان فرصة منافسة الإغريق عن طريق تلقح الثقافة الرومانية بالفكر الإغريقي : وأهم كتب شبشرون عن البلاغة هي :

١ - De Inventione : « عن الابتكار » ويعنبر أول ما كتب عن البلاغة في شبابه فقد كتب هذا الكتاب وهو لم يتجاوز العشرين من عمره .



وفى هذا الكتاب يحدد شيشرون عناصر الخطبة ،  
الأنواع المختلفة للخطبة وطريقة علاج موضوع كل منها .

ويقال ان لهذا الكتاب علاقة بكتاب Ad Herennium  
لهدى الى « هيرنيوس » وقد أخذ شيشرون فى كتابه عن  
هذا الكتاب الأخير وأن التتابين ( كتاب شيشرون والكتاب  
لهدى الى هيرنيوس ) يرجعان الى أصل اغريقى واحد فى  
نفس الموضوع .

٢ - De Oratore : « عن الخطيب » وقد كتبه  
على طريقة أرسطو - على هيئة حوار بين اثنين من كبار  
خطباء الرومان ، وهما أنطونيوس ( جد مارك أنطونيوس  
الشهير ) وكراسوس .

وهو يتحدث فى الكتاب عن طبيعة الدراسات التى  
بد أن يلم بها الخطيب وعن موضوع الخطبة وشكلها  
لعام وطريقة القاها .

٣ - Brutus : « بروتوس » وهذا كتبه أيضا  
على هيئة حوار ، وهو عبارة عن استعراض لتاريخ الخطابة  
فى الرومان .

٤ - Orator : « الخطيب » وفيه يتحدث عن  
الخطيب الحق ، وأنه ينبغى عليه أن يكون متمكنا من  
جميع أشكال الأسلوب ( الرفيع المؤثر ، والمتوسط ،  
والسهل الواضح ) وأن تكون لديه القدرة على معرفة  
ما يناسب كل موضوع من هذه الأساليب .

ويطنب شيسرون في شرح الأسلوب ، فيعالج مسائل  
السطى ، وتوزيع الكلمات فى الجملة ، والايقاع Rhythm  
وغير ذلك من المسائل الفنية .

على أن ما جاء فى هذه الكتب لم يكن كله من ابتداء  
شيسرون ، فقد كانت هذه الكتب تدين بالكثير للدراسات  
البلاغية السابقة ، سواء فى اللغة الاغريقية أو اللاتينية .

### السياسة :

كانت أهم كتب شيسرون فى فلسفة السياسة هى :

١ - De Republica « عن الجمهورية » : وهو  
يحمل نفس عنوان البحث الذى كتبه أفلاطون فى نفس  
الموضوع ، ولكنه يختلف كثيرا عن بحث أفلاطون .

فبحث شيسرون يقع فى ستة كتب ، وقد بدأه سنة  
٥٥ ق.م واستمر فى كتابته ثلاث سنين ، وذلك قبل  
رحيله الى « كيليكيا » بأسيا الصغرى .

وهو عبارة عن مناقشة استمرت - على ما يبدو -  
ثلاثة أيام سنة ١٢٩ ق.م بين « سكبيو أفريكانوس  
الأصفر » وصديقه « لا يليوس » وسواهما من أعضاء جمعية  
سكبيو الأدبية .

ولم يكن موضوع الكتاب « العدالة » كما تتمثل فى  
« المدينة الفاضلة » لأفلاطون ولكنه يدرس الدولة نفسها

وأفضل نظمها ، وحكومتها ، ومثله الأعلى للدولة - كما جاء على لسان سكيبو - هو مدينة « روما » حيث كانت تساس بحكمة ووطنية رجلها العظيم سكيبو .

ولا يمكننا أن نتبع بدقة المناقشة في جزئها الأول حيث لم يصلنا عنه سوى قصاصات صغيرة ، ولكن جزءها الأخير وصلنا كاملاً ، وفيه ينهى شيشرون المناقشة .

والجزء الذى وصلنا قسم من الكتاب السادس خاص برؤيا للعالم الآخر ويسميه شيشرون ( حلم سكيبو ) وفيه يروى لنا شيشرون كيف أن سكيبو قد رأى فى المنام مقر الأرواح الطاهرة ، وكيف أنه قد كلف بأن يعد نفسه لمثل هذا الموطن عندما ينتهى من رسالته فى العالم الدنيوى .

٢ - De Legibus « عن القوانين » : من المرجح أن شيشرون كتب هذا الكتاب عقب انتهائه مباشرة من كتابه « عن الجمهورية » إذ أن هذا الكتاب « عن القوانين » يعتبر امتداداً لكتابه « عن الجمهورية » .

وفد كتب هذا الكتاب فى ستة أجزاء وان كان لم يصلنا الا الأجزاء الثلاثة الأولى منه وبعض قصاصات من الأجزاء الأخيرة .

وفى هذا الكتاب يتحدث عن القوانين ويرى أنها شئ طبيعى ، ثم يتحدث عن وضع القوانين وعن الحكام وحقوقهم

وعن القوانين المدنية وغير ذلك . والكتاب على هيئة حوار اعتمد فيه شبشرون على آراء أفلاطون وخريسيبوس .

## الفلسفة :

لا شك أن الفكر العالمي مدين بالكثير لنظريات الرومان وأبحاثهم الفلسفية ، ولكن علينا إذا ما أردنا دراسة جذور هذه النظريات والأبحاث وأصولها ، أن نرجع إلى الفكر اليوناني ، ولا غرابة في ذلك فالرومان قد تأثروا تأثراً كبيراً بالفكر اليوناني ، وظهرت ملامح هذا التأثير في آدابهم وثقافتهم عموماً ، ولكن هذا التأثير يتجلى في أوضح صورته في الفلسفة الرومانية بأجلى مما يتضح في سواها من فروع الثقافة والفكر ، أن قوة الابتكار الرومانية تبدو ضئيلة في ذلك الفرع من فروع الفكر ( الفلسفة ) دون سواها من فروع الثقافة والفن الأخرى .

والنظريات الرومانية الفلسفية يمكن اعتبارها انعكاساً لمبادئ أربع مدارس يونانية فلسفية كبرى وجدت في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد في العصر الهلينستي أي بعد عصر أرسطو .

وهذه المدارس الأربع هي :

١ - مدرسة الابيقوريين .

٢ - مدرسة الرواقيين .

٣ - مدرسة المشائين .

٤ - مدرسة الأكاديمية .

## ١ - المدرسة الأبيقورية :

وفد أسسها « أبيقوروس » من جزيرة « ساموس » ( سنة ٣٤١ - ٢٧٠ ق م ) وكان يرى أن الحواس هي التي تقود الانسان الى السعادة ، التي تتمثل - في رأيه - في اللذة والابتعاد عن الألم وكل ما تضطرب له النفس ، وأن الجسم والنفس مكونان من ذرات atoms والجسم شرط النفس فقد ولدا معا وسوف يفنيان معا ، وأن الاحساس ينعدم بعد انفصال الجسم عن الروح .

ويرى « أبيقوروس » أن الآلهة يعبشون في عالم خاص بهم بين العوالم ولكن ليس هناك ما يربطهم بشئون الانسان وعالمه فعلياً أن نطمئن من جهتهم وأن ننفي عن أنفسنا الخوف منهم ، فعدم وجود رابطة تربطنا بالآلهة من جهة وفناء الروح بعد الموت من جهة أخرى لا يدع لنا مجالاً للخوف من الآلهة أو الموت .

## ٢ - المدرسة الرواقية :

وفد أسسها « زينون » من جزيرة قبرص سنة ٣٠٠ ق م ، وكان يدعو الى الاعتقاد بالعناية الالهة ، والمضيئة التي التي هي الخبر الأقصى .

وهو يجعل الواجب أساسا للأخلاق وبذلك يناقض  
الاييمورية التي تقول بالآلية والاتفاق والحرية ، والعقل  
لديه هو أكمل الطرق لتحقيق أسمى الغايات فعل الإنسان  
أن يحيا وفق ما يمليه عليه العقل .

وكل ما يحدث فى الطبيعة يحدث بمقتضى الإرادة  
الالهية أو القدر .

وجميع الناس أخوة فى دولة العالم .

### ٣ - المدرسة المشائية (Peripatetics)

وهى مدرسة أتباع أرسطو الذين كانوا يجتمعون  
فى الـ (Arcade) Peripatos « ممشى مسقوف » فى  
الجمنازيوم بأثينا ومن ثم أطلق عليهم هذا الاسم  
(Peripatetics) وقد دأبوا على تفسير علوم أرسطو  
وفلسفته ، كما دأبوا على نشر نظرية أرسطو عن الوسط  
(Mean) تلك النظرية القائلة بأن كل فضيلة وسط بين  
رذيلتين ( ففضيلة الشجاعة مثلا وسط بين رذيلتين  
نقيضتين هما الجبن والتهور ) وهذه النظرية فى الاعتدال  
تظهر بوضوح فى أعمال شيشرون .

### ٤ - مدرسة الأكاديمية :

وتنسب الى غابة ريتون صغيرة قرب مدينة أثينا ،

وكانت مكرسة للبطل اليوناني « أكاديموس » وبها  
« جمنازيوم » وفي هذه الغابة كان أفلاطون وأتباعه يلقون  
تعاليمهم ويقررون مبادئ فلسفتهم . وقد أسسها أفلاطون  
سنة ٣٨٥ ق م .

والفضيلة عند أفلاطون هي المعرفة ، وهو يرى أن  
هناك فارقا كبيرا بين المحسوسات وماهياتها ، فالماهيات  
كاملة أما المحسوسات فناقصية ، فإذا أردنا الدقة فانا  
لا نسمى النار المحسوسة نارا ، بل نقول انها شيء شبيه  
بالنار ( نظرية المثل ) فالمثال هو الشيء بالذات ، والجسم  
هو شبح المثال . والعالم المعقول يدرك بالعقل المحض ،  
والمثل هي مبادئ المعرفة .

ويعتبر « كارنياديس » Carneades مؤسس  
ما يعرف بالأكاديمية الحديثة ، وقد أنكر أن هناك علامة  
للحقيقة ، وأنها عسوية على الإدراك ، ونادى بنظرية  
الاحتمال والترجيح ( مذهب الشك scepticism ) اذ من  
العسير أن نصل الى معرفة غير قابلة للجدل والشك ،  
فكانه هاجم نظرية « الفكرة اليقينية » .

وقد كان « أنتيوخوس » ( سنة ١٣٠ - ٦٨ ق م )  
رئيسا للأكاديمية من سنة ٧٩ - ٧٨ ق م حيث حضر  
شيشرون محاضراته . وكانت نظريته تجمع بين المذاهب  
الفلسفية المختلفة ( eclectic ) فكان يصطفى من هذه

المذاهب خير ما فيها من آراء ثم يصوعها في نظرية واحدة  
سودها فكرة أرسطو عن الوسط (Mean) .

وقد انتهج شيشرون نفس النهج ، فلم يتعصب  
لنظرية ( الفكرة اليقينية ) ولكنه أيضا كان يعتنق نظرية  
الرواقين في أن الفضيلة هي خير مرشد للأخلاق .

راق المذهب الرواقى الرومان أكثر مما راقهم أى  
مذهب فلسفى آخر ، ويرجع اعجابهم بهذا المذهب الى قربه  
من مبادئهم الأخلاقية ( الجد والصرامة والبساطة  
والولاء ... الخ ) .

وقد كان تأثير الرومان بهذا المذهب عميقا حتى لقد  
أصبح عندهم كالعقيدة فتأثر به رجال القضاء وأصبح أساسا  
فى العلاقات التجارية مع الأجانب وفى العلاقات الدولية  
عموما كما أضحي منبعا للاستقرار والسلم الرومانى .  
والفضل فى كل هذا لمجهودات شيشرون .

### أفكار شيشرون الفلسفية :

نلقى شيشرون أول دروسه فى الفلسفة على  
الفيلسوف الابيقورى (Phaedrus) « فايدروس » ثم  
تتلمذ على الفيلسوف الرواقى « Diodotus » « ديودوتوس »  
ولكن تأثره بنظريات (Philo) « فيلو » ، فيلسوف  
الأكاديمية سنة ٨٨ ق م كان أعمق من تأثره بفلسفة  
« ديودوتوس » (Diodotus) وهكذا تتلمذ شيشرون على



ثلاثة من كبار الفلاسفة الذين كانوا يمثلون أهم ثلاث مدارس  
فلسفية في عصره .

وعندما بلغ شيشرون العشرين من عمره ( سنة  
٧٩ ق:م ) أصفى الى محاضرات (Phaedrus)  
« فايدروس » الابقورى و « أنتيوخوس » Antiochus  
الأكاديمى المجتمعى (eclectic Academic) فى أثينا .

وفى السنة التالية استمع الى محاضرات  
« بوسيدونيوس » (Posidonius) الرواقى المجمعى فى  
رودس .

كما أنه تأثر الى حد كبير بالفيلسوف المشائى  
« كراتيبوس » (Cratippus) .

وهكذا نرى أن معرفة شيسرون بالنظريات الفلسفية  
القديمة والحديثة كانت عميقة وواسعة بحيث لم يجاره  
فيها أحد .

وقد تأثر شيشرون بجميع هذه  
به الأمر الى اعتناق مذهب التجميع وال  
الذى كان مناسباً لشخصه المرده القلعه .

وشيشرون نفسه يقرر أنه من أتباع الأكاديمية  
الحديثة ، ويسدو أن تأثره بعالم « انيوخوس »  
Antiochus كان عميقاً ، والشك فى نظر شيشرون ]

لا يعدو أن يكون تمرداً على التعصب (dogmatism) للنظريات المختلفة . وهو يمجّد حرية ابداء الرأي (V) .  
والحقيقة عنده تعادل الاحتمال وليس اليقين القاطع ،  
وقد راقّت هذه الآراء شيشرون ، وذلك لتوافقها مع  
أغراض الخطابة ، ان الفصاحة في رأيه هي طفل الأكاديمية ،  
فتعاليم الأكاديمية هي أصفى منهل للخطباء والسياسيين  
ورجال الأدب في حين لم يمن الرواقيون ولا الابقوريون  
بقوة التعبير ، بالإضافة الى أن المذهب الأكاديمي كان قريباً  
الى ادراك الناس ، ولذا كان للأكاديمية مكانتها الرفيعة  
بين الناس . فقد كان « فيلو » Philo خليفة سقراط  
وأفلاطون .

ورغم هذا فان الاحساس بالحاجة لايجاد أساساً  
ثابت للأخلاق ، واتهام الأكاديمية الحديثة بأن مذهبها  
خال من مثل هذا الأساس ، كل ذلك دفع شيشرون الى  
اعتناق المذهب الرواقي ، وكان يزداد له تعصباً كلما  
تقدمت به السن ، لدرجة أنه كان يرغب في قصر وصف  
الفيلسوف على الفلاسفة الرواقيين فقط ، وكان يعتنق  
النظرية الرواقية القائلة بأن الفضيلة هي المرشد الأول  
للأخلاق .

---

(V) انظر كتابه « عن الواجبات » الفصل الثالث . الفقرة الرابعة  
سطر ٦٠ . De Offic. III-IV. 60.

ولم يكن المذهب الابيقورى يروقه كثيرا ، حتى أنه كان عازفاً عن مجرد فهمه أو تقديره وهكذا نرى أنه مزج - بطريقة مجمعة - مبادئ الأخلاق عند الرواقين بأصول فلسفته المتأثرة بالأكاديمية الحديثة .

ومبادئ فلسفة شيشرون ليست أصلية أو مبنكرة عموماً وإنما كانت الى حد كبير مجرد نقل وتجميع للنظريات اليونانية ، وشيشرون ذاته يعترف بهذا ويرى أن مجهوده الفلسفى لا يعدو النسخ أى أن فلسفته صورة طبق الأصل من الفلسفة اليونانية ويقول عن فلسفته « اننى لا أمدّها بشئ سوى الكلمات وهى كثيرة لدى ، ولكن كلمات شيشرون وضعت بطريقة خلاصة لا تبارى بحيث كان لها التأثير الأكبر على لغة الأجيال اللاحقة فكان أصالة شيشرون لا تتمثل الا فى الأسلوب الذى كتب به فلسفته ، كما أنه أسهم فى امداد القارىء الرومانى بعدد من الشروح والتعليقات التاريخية لتوضيح هذه الفلسفة . وأبحاث شيشرون ذات قيمة كبيرة بالنسبة لمؤرخ الفلسفة ، إذ أنها نناول التطورات الأخيرة للمدارس الفلسفية المختلفة ، وكان يهدف من وراء ذلك الى وضع النتائج التى انتهت اليها المدارس الفلسفية التالية لأرسطو أمام قارئه ، وسرعان ما انتشرت النظريات الرواقية بين مثقفى الرومان ، وقاثر مفكرو المسيحية بشروح شيشرون لها ، كما تأثر بها الأجمال المتعاقبة .

وقد وجدت المبادئ الأخلاقية التي نادى بها شيشرون  
صدى قويا في نفوس الجماهير . فقد أخرجها للناس في  
شكل واضح مبين ، ويمكن اجمال هذه المبادئ على حد  
تعبير شيشرون نفسه في كلمة الانسانية (Humanitas)  
هذه الكلمة التي نتبلور فيها مبادئ وخصال الرجل  
المتحضر .

وأهم ما تتميز به هذه الانسانية من مبادئ هو  
« العطف » فلا بد من أن يكون أساس معاملة الانسان  
لأخيه الانسان هو العطف والشفقة والحنو لأن الانسان  
نفسه جدير بالاحترام اذ يحمل في نفسه بعض القيم  
الموروثة . وقد بنى شيشرون رأيه هذا على المبادئ  
الرواقية التي نادى بأخوة الانسان للانسان دون النظر  
الى موطنه أو جسده أو مكانته ، وقد كان شيشرون هو  
الداعى لهذا المبدأ . وقد نالت أبحاث شيشرون شهرة  
كبيرة في حياته وعقب موته ، وكان غرضه من أبحاثه  
تلك أن يقرب الفلسفة الرواقية الى الفكر الرومانى ، وقد  
أحرز في ذلك نجاحا كبيرا فلقد ساعدت أبحاثه على نشر  
المبادئ الرواقية بين الرومان وخاصة الطبقة المثقفة فيهم ،  
حتى أن أباطرة الرومان أنفسهم أصبحوا يميلون الى الفلسفة  
الرواقية ، وكان أولهم الامبراطور أوغسطس .

كما تأثر بشروح شيشرون الفلسفية - كما ذكرنا -  
مفكرو المسيحية .

وكانت كتاباته الفلسفية زائدة النهضة الإيطالية في  
سعيها لتحرير الإنسان الغربي من مفاسد واضطرابات  
العصور الوسطى .

وكان شيشرون في نظر علماء النهضة بطل الفكر  
الحر والارادة الحرة والحرية الشخصية تلك المبادئ التي  
كانت النهضة تنادي بها . وقد احتل شيشرون هذه المكانة  
في نفوس علماء النهضة نظرا لمناهضته للأوتوقراطية ونظرا  
أيضا لتلك الروح المضيئة التي لمسوها في أبحاثه الفلسفية .

كما كان لهذه الأبحاث أثرها في القرن الثامن عشر  
ويظهر هذا الأثر في إعلان الأمريكيين لحريتهم وحقوقهم ،  
كما يظهر أيضا في برنامج الجمعية الوطنية الفرنسية  
الأولى . ان « فولتير » وفلاسفة بريطانيا أمثال « لوك »  
(Lock) و « هيوم » Hume يدينون بالكثير لفلسفة  
شيشرون .

### أعماله الفلسفية :

١ - Paradoxa : وهو عبارة عن بعض حكم  
روافيه تناولها شيشرون بالشرح بطريقته البلاغية ووضع  
لها أمثلة من التاريخ المعاصر ، فمثلا الحكمة القائلة بأن  
« الرجل غير الحكيم يعد غيبيا » كان يقصد بها  
« كلوديوس » .

٢ - *Consolatio* : « العزاء » بعد أن فقد شيشرون ابنته « توليا » التي توفيت سنة ٤٥ ق م حزن على فقدانها حزنا شديدا ، وذهب الى منزله الريفي في « استورا » ووجد عزاءه في دراسة موضوع فلسفي ، فكتب « عن العزاء » *De Consolatio* الذي يعتبر محاولة من شيشرون ليعزى نفسه عن فقد ابنته ، وقد فقد هذا الكتاب ولم يصلنا منه سوى قصاصات قليلة جدا .

٣ - *Hortensius* : « هورتنسيوس » أو *De Philosophia* « عن الفلسفة » وهو عبارة عن حوار حول تمجيد الفلسفة التي حاول « هورتنسيوس » الحط من شأنها في الوقت الذي امتدح فيه الخطابة .

وكان شيشرون يهدف من وراء كتابة هذا الكتاب الى تحبيب الفلسفة الى نفوس الرومان وحثهم على دراستها . وقد فقد هذا الكتاب أيضا ولم يتبق منه سوى قصاصات قليلة . وقد تأثر بهذا الكتاب فلاسفة المسيحية خصوصا « سانت أوغسطين » *St. Augustine* الذي امتدح كتابات شيشرون .

٤ - *De Finibus Bonorum et Malorum* « حدود الأعمال الخيرة والشريرة » . ويقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء ويعتبر من أهم كتابات شيشرون الفلسفية ويحتوى على مقارنة بين المدارس الفلسفية المختلفة ( الابيقورية والرواقية والمشائية ) من خلال موقعها من

قضية الخير والشر ، ونلاحظ أن شيشرون لم يتطرق في هذا البحث الى أعمال أرسطو وإبيقوروس نفسيهما وإنما فند نظريات أتباعهما .

٥ - Academica : وهو بحث في فلسفة المدرسة الأكاديمية ، نشأتها وتطورها حيث تحدث فيه أولا عن المدرسة الأكاديمية القديمة شارحا نظريات « أنتيوخوس » وحاول أن يبرهن على تفوق المدرسة الأكاديمية الحديثة بزعامه « فيلو » وأوضح معالم الاختلاف بين الأكاديمية القديمة والحديثة .

وهذا الكتاب يعد المصدر الرئيسي لدراسة الفلسفة الأكاديمية .

٦ - Tusculanae Disputationes : « المناقشات الموسكولية » . وقد سميت بهذا الاسم لأنها كتبت في منزل شيشرون الريفي ببلدة « توسكولوم » Tusculum وهي عبارة عن مناقشات بينه وبين بعض أصدقائه المفكرين حول بعض القضايا الفكرية وتقع في خمسة أجزاء ، يتحدث في الجزء الأول منها عن « الخوف من الموت » وفي الثاني عن « احتمال الألم » وفي الثالث عن « الشفاء من الألم » وفي الرابع عن « الأشياء الأخرى التي تقلق النفس » وفي الخامس عن « الفضيلة وكفايتها لتحقيق السعادة » .

وهو يرى أننا لا يجب أن نخشى الموت سواء كانت

النفوس خالدة أو فانية ، وأن علينا أن نحتمل الألم ونغلب على الحزن والقلق النفسى ، وأن الفضيلة كافية بذاتها لتحقيق السعادة للبشر .

وكان هدف شيشرون من ذلك أن يخفف عن دومه آلامهم الناجمة عن قلق الأوضاع واضطرابها فى ذلك العهد ، وكان لأبحاثه تأثير كبير رغم أنه اعتمد فيها على البلاغة أكثر من اعتماده على المنطق .

٧ - De Natura Dcorum « عن طبيعة الآلهة » :

هذا الكتاب أيضا على هيئة حوار ، تحدث فيه عن وجود الآلهة ، وفند نظريات الإبيقوريين والرواقيين والأكاديميين وشكوكهم ، ولم يعرض لآراء مؤسسى هذه المدارس ، وإنما فند نظريات أتباعهم .

٨ - De Divinatio « عن علم الغيب » : وقد

وضع شيشرون هذا البحث فى كتابين يمكن اعتبارهما تكملة لكتابه السابق « عن طبيعة الآلهة » .

وقد بحث شيشرون فى الكتابين علم الغيب ومعنفات الفلاسفة عنه ، ففى الكتاب الأول نرى « كوينتوس » شقيق شيشرون يدافع عن آراء الرواقيين الذين يذهبون الى أن علم الغيب ممكن ، وأن الوحى - الذى يأتى عن طريق التنبؤات (oracles) والمنبئين (prophets) صادق ، وفى الكتاب الثانى يرد شيشرون على أخيه معارضا آراءه ومستخدما نظرية الأكاديميين ، وهكذا لا نرى لدى أى من



الآخوين آراء أو أفكارا مبتكرة اذ ترجع كل الآراء والأفكار الى النظريات الرواقية والأكاديمية .  
والغريب فى الأمر هو أن شيشرون - الذى لم يكن يعتقد فى الخرافات - يعرض لعلاج موضوع عن الخرافات العامة والنظم الدستورية الخاصة بهذه المعتقدات .

٩ - De Fato : « عن القدر » . وقد كتب شيشرون هذا البحث فى كتاب واحد وصل إلينا جزء منه ، وغيه يتم شيشرون بحثه فى الديانة .  
وسبب كتابة هذا الكتاب أن « هيرتيوس » حضر لزيارة شيشرون سنة ٤٣ ق.م وطلب منه أن يكتب بحثا عما اذا كان القدر يدخل فيما نقوم به من أعمال أو لا .  
وشيشرون فى هذا الكتاب يعارض آراء الروافدين عن القدر .

١٠ - De Senectute « عن الشيخوخة » . وقد كتب هذا الكتاب سنة ٤٤ ق.م على هيئة حوار مفروض أن يكون قد حدث سنة ١٥٠ ق.م ولكن الكتاب فى حقيقته بحث فى تمجيد الشيخوخة . ويدور هذا الحوار بين « كاتو » الشيخ وصنيفيه سكيبيو ولا يليوس اللذين حضرا لزيارته ، ثم توجها اليه ببعض الأسئلة عن الشيخوخة فأجابهما الشيخ مدافعا عن الشيخوخة ومادحا لها ، فهى فى رأيه ليست عبئا يثقل حملة ، بل هى على العكس محبة لطيفة ، وقد قصد شيشرون بهذا البحث أن يسرى عن

صديقه الحميم « أتيكوس » الذى أهدي اليه الكتاب وكذلك  
عن نفسه بعد أن بلغا من الكبر عتيا .

١١ - De Amicitia « عن الصداقة » : وقد أهدي  
شيشرون هذا الكتاب لصديقه أتيكوس والكتاب مكتوب  
على هيئة حوار أيضا ، وأهم المشتركين فى الحوار  
« لايليوس » صديق سكيبيو أفريكانوس الأصغر والمفروض  
أن هذا الحوار قد دار عقب وفاة سكيبيو ( ١٢٩ ق م )  
بأيام قليلة ، عندما زار « فانيوس » و « موكيوس »  
سكايڤولا « حاهما » لايليوس . وقد قص « سكايڤولا على  
شيشرون هذا الحوار .

## الرسائل

لدينا ما يقرب من ثمانمائة رسالة لشيشرون ، وقد  
تبادل هذه الرسائل مع صديقه الحميم « أتيكوس » ومع  
« بروتوس » وغيرهما من الأصدقاء .

وقد نشرت هذه الرسائل بعد موته ، وهى تعطينا  
فكرة واضحة عن الحياة الاجتماعية فى الأيام الأخيرة  
للجمهورية الرومانية ، كما تعطينا فكرة عن شخصية  
شيشرون نفسه .

كما يوجد لشيشرون أيضا بعض الكتابات الشعرية  
ولكنها ليست فى مستوى شعرى مرتفع ، وبعض هذه

الكتابات من ابتكاره ، وبعضها الآخر عبارة عن ترجمات شعرية .

وأهم مقطوعاته الشعرية مقطوعة « عن عصرى »  
De Temporibus meis التى يعالج فيها موضوع  
قنصليته .

## عن الصداقة

### الفصل الأول :

فى الفصل الأول من الكتاب يهدى شيشرون بحنه لصديقه « أتيكوس » ذلك البحث الذى يتناول موضوع الصداقة فى شكل حوار يشترك فيه « لايلىوس » وصهره « فانيوس » و « سكايفولا » وذلك عقب وفاة سكيبو أفريكانوس صديق لايلىوس بأيام قليلة .

وفى اهداء شيشرون بحنه لصديقه « أتيكوس » اعتراف بفضل هذا الصديق الذى كان يحنه دائما على الكتابة فى موضوع الصداقة ويبين له مدى جدارة الموضوع بالدراسة فى ذاته ومن ناحية أخرى فان تناول موضوع الصداقة بالدراسة ملائم لتلك الصداقة الوثيقة التى تربط شيشرون بأتيكوس .

وقد أجرى شيشرون الحديث عن الصداقة على لسان « لايلىوس » نظرا لأنه أجدر الناس بالحديث عنها فقد كانت الصداقة التى تربط بينه وبين سكيبو مضرب الأمثال .

ويذكر « شيشرون » أن « موكيوس سسكايفولا »  
و « جايوس فانيوس » حضرا الى منزل صهرهما « لايلىوس »  
ثم بدأت بينهم المناقشة ، « فانيوس » و « سسكايفولا »  
يسألان ، و « لايلىوس » يجيب .  
ويقول شيشرون لصديقه أتيكوس بأنه سوف يرى  
فى هذا الحديث صورة لشخصه .

## الفصل الثانى :

وفى الفصل الثانى يتحدث « شيشرون » عن كلمة  
« الحكيم » sapiens وكيف أن الناس يعدون لايلىوس  
حكيمًا ، كما اعتبروا « ماركوس كانو » حكيمًا من قبل ولم  
يكن تلميذه بالحكيم Marcus Porcius Cato Sapiens  
لمجرد المزايا الشخصية والخلقية التى كان يتمتع بها  
فحسب ، وانما أيضا لثقافته ، ويرى أن « لايلىوس »  
يختلف عن الحكماء السبعة عند اليونان (٨) باستثناء

---

(٨) « السبعة الحكماء » اسم خلعه القدماء على سبعة رجال دوى  
حكمة عملية ، سياسيين ومشرعين ، وفلاسفة للعصر ما بين ٦٢٠ و ٥٥٠  
ق م ، وقد سجلت المصادر قوائم بأسماء مختلفة ولكن جميع القوائم  
تحتوى على اسم سولون ( من أثينا ) وطاليس ( من ميليتوس بآسيا  
الصغرى ) وبيثاكوس ( طاغى ميتيلين بجزيرة ساموس ) وبياس ( من  
برينى بآسيا الصغرى ) وتحتوى بعض القوائم على اسم برياندر (طاغى  
كورنثه ) وكليو يولوس ( من رودس ) وخيلون ( من أسبرطة ) .

سفراط ، اذ أن البعض لا يضعون هؤلاء الحكماء السبعة  
 فى مرتبة فلاسفة الأخلاق (moral philosophers)  
 ويقول « فانيوس » أن الناس يسألونه كما يسألون  
 « سكايفولا » كيف استطاع لايلىوس أن يتحمل ألم موت  
 صديقه « سكيو أفيكانوس » ، ويؤمن سكايفولا على كلام  
 فانيوس ذاكرة أن لايلىوس قد نحل ألم موت صديقه فى  
 شجاعة ورباطة جأش ويبدى لايلىوس تواضعه حين يصفه  
 فانيوس بأنه حكيم .

### الفصل الثالث :

فى الفصل الثالث يستمر لايلىوس فى حديثه فيقول  
 انه سيكون كاذبا لو أنه أنكر شعوره بالألم والأسى لموت  
 سكيو الذى لم يكن له صديق مثله ولن يكون ، وان كان  
 يعتقد أن مبعث أساء وألمه إنما هو حرمانه من صداقة  
 سكيو ، وليس هو حادث الموت فى ذاته ، فإن الموت لا يعد  
 مؤلما بالنسبة لسكيو الذى عاش حياة مجيدة ، بلغ فيها  
 أقصى ما يمكن أن يبلغه مواطن روماني بل أقصى ما يمكن  
 أن يصبو اليه انسان سواء فى حياته أو مماته ، وما أهمية  
 أن يطول عمره بضع سنين أخرى ؟! ، فلم يكن فى حياته  
 محتاجا الى اضافة مزيد من السعادة والمجد ولقد جعلته  
 نهايته السريعة لا يحس بألم الموت .

كما أن تمجيد الشعب له واحتفائه به جعله يبدو  
 وكأنه صاعد الى السماء لا ذاهب الى العالم السفلي .

## الفصل الرابع :

فى الفصل الرابع يستمر لايلىوس فى حديثه ويقول انه يؤمن بخلود الروح وانه لا يوافق أولئك الفلاسفة المحدثين الذين يذهبون الى أن الروح تفنى بفناء الجسد ، وأن كل شىء يتلاشى بالموت . وأنه يتفق مع الفلاسفة القدماء سواء أسلافه الرومان الذين كانوا يبعجلون الموتى ، أو فلاسفة اليونان الذين عاشوا فى جنون ايطاليسا أو سقراط الذى اشتهر بأنه أكثر الجميع حكمة ، هؤلاء الذين قالوا جميعا بخلود الروح وأنه عندما تترك روح الشخص جسده تجد الطريق أمامها مفتوحا للعودة الى السماء ، حيث تعود روح الشخص الطيب والعادل بسرعة .

ولقد كان سكيبو يؤمن أيضا بذلك ، وقد اشترك لايلىوس فى مناقشة مع سكيبو عن خلود الروح التى عرف سكيبو عنها الكثير من سكيبو أفريكانوس الأكبر فى رؤيا عرضت له فى نومه .

وقد سعدت روح سكيبو الى السماء فى سرعة ويسر لأنه كان من فضلاء القوم ، ولهذا فهو يخشى أن يكون حزنه على صديقه مبعثه الغيرة وليس مبعثه الصداقة .

أما اذا كان رأى الثانى القائل بأن الروح تفنى أيضا بفناء الجسم صادقا وأن الاحساس يتعدم حقيقة بالموت فانه اذن لا يوجد نفع أو ضرر أو ألم بعد الموت

لأنه اذا ما انعدم الاحساس فان الانسان يغدو وكأنه لم يولد ، ورغم ذلك قاننا نقرح لمولده ، وسوف تسر الدولة أيضا طالما هي باقية .

ويقول لايلىوس انه سعيد بذكرى صداقته لسكيبو الذى سعد بصحبته والذى كان متفقا معه فى آرائه العامة والخاصة وكذلك فى رغباته وميوله ، لذلك لم يكن لقب « الحكيم » الذى أضفاه عليه فانيوس مبعث سرور كبير له - خصوصا وهو لا يرى نفسه جديرا بهذا اللقب - وانه سيكون أكثر سعادة لو ظلت ذكرى صداقته لسكيبو خالدة .

ان أعظم شيء يسره هو أن يحتفظ التاريخ بذكرى تلك الصداقة القوية التى كانت تربطه بسكيبو ، كما احتفظ بذكرى الصداقات الأربع (٩) .

ثم يصدق فانيوس على كلام « لايلىوس » وينتهاز فرصة كلامه عن الصداقة ويطلب منه أن يحدثهما عنها ، ويشرح لهما طبيعتها ، وحكمتها وآراءه فيها .

## الفصل الخامس :

فى الفصل الخامس يبدأ لايلىوس حديثه عن الصداقة ، فيقول ان موضوع الصداقة من الموضوعات

(٩) الصداقة بين أخيلوس وياتروكليس ، ثيسوس وبيريثوس ، اورستيس وبيلاديس ، دامون وببيثياس .

النبيلة التي يصعب عليه الحديث عنها ، لأن الحديث عنها يحتاج الى فيلسوف ، ولكنه يستطيع أن يطلب منهم أن يضعوا الصداقة فوق أى شئ فى العالم ، فليس هناك ما هو أنسب ولا أحب للانسان منها سواء فى الرخاء أو فى الشدة .

وهو يرى أن الصداقة انما تنمو وتثوئ عراها بين الأخيار - وهو لا يقصد بالأخيار ذلك المفهوم المثالى البالغ حد الكمال الذى ذهبت اليه الفلسفة الرواقية فهى تهوم فى أفق خيالى فتري أنه ليس هناك رجل فاضل ما لم يكن « حكيما » وأنه من العسير على البشر أن يصلوا الى معنى الحكمة والخير الأقصى عندهم .

ويرى « لايلىوس » أنه يجب أن ننظر الى الأشياء الواقعية التى نلمحها فى واقع حياتنا لا الى تلك الأشياء الخيالية التى تخلفها مخيلانا وأوهامنا ، وهو لا يؤكد أن المواطنين الرومان - الذين بعدهم أجداده حكماء - كانوا حكماء بالمفهوم الذى يذهب اليه فلاسفة الرواقية ، ذلك المفهوم الذى يصعب ادراكه .

ولكنه اذا ما سلك الانسان طريقه فى الحياة بشرف وأمانة وعدل ، دون أطماع أو غطرسة أو استهتار ، مثل أولئك المواطنين الذين امتدحهم الأجداد ، كان يجديرا بأن يعد فى الحقيقة من الأخيار فان الذين يسلكون فى



حياتهم مثل هذا المسلك انما يسرون في أعمالهم — قدر استطاعتهم — على معتنى الطبيعة التي هي خير مرشد الى الحاة الفاضلة « optima dux bene vivendi » .

يرى « لايلبوس » أننا نأتى الى هذه الحياة وبيننا نوع من الترابط ، وأنه كلما قويت الصلة بين شخص وآخر ازداد هذا الرباط الذى يجمع بينهما قوة ومتانة ، ولذلك فان مواطنينا أفضل لدينا من الأجانب ، والأقارب أعز علينا من الغرباء ، ان الطبيعة نفسها هي التي تخلق الصداقة بين هؤلاء الناس ، ولكن مثل هذه الصداقة لا تقوم على أساس متين .

وانما نفوق الصداقة القرابة لأن الشعور الطيب بين الأقرباء قد يزول وبزواله يزول معنى الصداقة بينما تبقى صلة القرابة ، في حين أن ذلك الشعور الطيب بطل قويا بين الاصدقاء .

ممكنا أن نتعرف على قوة الصداقة من الحقيقة البالبة : وهي أنه من بين تلك الروابط العديدة التي لا حصر لها والتي أوجدتها الطبيعة بين البشر ، من بين تلك الروابط العديدة رابطة واحدة وثيقة ومتينة ضيقت الطبيعة من حدودها فجعلتها شعورا متبادلا بين اثنين أو ثلاثة على الأكثر ، وتلك هي رابطة الصداقة .

## الفصل السادس :

فى الفصل السادس يتحدث لايليوس عن مفهوم  
الصدقة ، ويرى أنها توافق فى جميع الأمور الدنيوية  
والدينية ممزوج بالمحبة والشعور الطيب .

وباستثناء الحكمة ، فان الآلهة لم تمنح الخالدين من  
الناس شيئا أروع من الصدقة فى رأيه .

وهناك من يفضل عليها الثروة أو الصحة أو النفوذ  
أو الجاه أو اللذة ولكن هذه الأشياء - فى مجملها - سريعة  
الزوال والفناء ، اذ تتحكم فيها ظروف الدهر وتقلباته .

أما أولئك الذين يجدون فى الفضيلة خيرهم الأسمى  
فانهم بلا شك يختارون الجانب الأسمى والأكثر نبلا ،  
اذ أن الفضيلة تخلق الصدقة وتعمل على رعايتها والحفاظ  
عليها ، ولا يمكن أن توجد صدقة على الإطلاق بدون  
فضيلة (١٠) . وهو يفسر الفضيلة بما يمليه واقع الحياة ،  
والدلالة اللغوية العادية من مبادئ ، ولا يدخل فى مفهومه  
للفضيلة أولئك الرجال الفضلاء الخياليين ، الذين لا يوجدون  
فى عالمنا ، والذين يتحدث عنهم بعض الفلاسفة .

وان الصدقة لتؤدى كثيرا من الخدمات فى هذه  
الحياة .

---

(١٠) انظر الفصل الخامس فقرة ١٨ هذا هو مذهب الرواقيين  
وسقراط .

وكيف يمكن أن توجد حياة جديدة بأن نحياها -  
كما يقول اينيوس (١١) - إذا لم تشتمل على شعور طيب  
من صديق ، ما أروع أن يكون لك صديق تبته ذات نفسك  
وكانك تحدث الى نصفك الثانى .

ان الانسان يحتاج للصدقة سواء فى رخائه أو  
شدته ، فهو محتاج الى صديق يشاركه سعادته وسروره  
كما هو محتاج الى صديق يقاسمه متاعبه وآلامه .

ان كلا من الثروة والجاه والصحة واللذة ، لها  
مناسبتها الخاصة وميزتها الخاصة فميزة الثروة أن تنفق  
منها ، وميزة الجاه أن تغدو مبعلا بين الناس وميزة اللذة  
أن ترفه عن نفسك وميزة الصحة أن تصونك من الأمراض ،  
وتمكنك من أداء أعمالك الجسمانية - وكل ميزة من هذه  
الميزات وقنية وجزئية ، لها مناسبتها الخاصة التى تستغل  
فيها استغلالا وقتيا فى حين أن الصداقة تجمع بين كل  
هذه المزايا .

## الفصل السابع :

يستمر لايلىوس فى الفصل السابع فى حديثه عن

---

(١١) كوينتوس اينىوس هو شاعر الرومان العظيم ، ولد فى  
بروند يزيوم سنة ٢٣٩ ق.م. وتوفى سنة ١٦٩ ق.م ، ويعيد كتابة  
« الحوليات » أهم أعماله ، وفى ذلك الكتاب يعرض تاريخ روما منذ  
بدايته حتى عصره .

الصداقة فيقول انها تضيء الطريق أمام الأمل في المستقبل ،  
وترفع من الروح المعنوية ، وإذا ما زالت المحبة من العالم  
تفككت الروابط بين أفراد الأسرة ، وأعضاء الدولة ،  
فالصداقة نوع من الروابط التي تجمع بين أفراد الأسرة ،  
وأعضاء الدولة ، بل وهي نوع من الروابط في العالم  
الطبيعي .

ان الفيلسوف « امبيدوكليس » يعتقد أن العالم  
محكوم بقوتين رئيسيتين وهما المحبة والكراهية ، والمحبة  
في نظره هي القوة الحافظة في الطبيعة .

ما أجمل أن يشارك صديق صديقه في مواجهة  
الخطار .

## الفصل الثامن :

وفي الفصل الثامن يناقش لايليوس مبعث الصداقة  
وأصلها ، وهل هي ناشئة عن احتياج الشخص لكون  
الآخرين ، أو هو مبل طبيعي في الانسان ؟

وهو ينتهي الى أنها ميل طبيعي ، ان كلمة الصداقة  
(amicitia) مشتقة من كلمة الحب (amor) وانها القوة  
الرئيسية في جعل المحبة متبادلة .

وحقيقة أنه قد يترتب عليها نوع من النفع ، ولكن  
المنافع المترتبة على الصداقة الحققة مختلفة تماما عن تلك

المنافع المؤقتة التي يسديها شخص ما بدافع المجاملة وتحت ستار الصداقة ، فالصديق الحق يسدي المعروف لصديقه بدافع الاخلاص لصداقته والشعور الودى الطيب نحوه .

واننا قد نحب شخصا ما اذا ما وجدناه على خلق نبيل ، لأننا نرى فى هذا الشخص مثالا بارزا للشرف والفضيلة ، فليس أحب اليانا من الفضيلة ، والفضيلة تجذبنا بقوة الى المحبة وقد تخلق روحا من المودة بيننا وبين الأشخاص الذين لم نتعرف اليهم قط ، بسبب ما كانوا عليه من فضيلة واستقامة . وللصداقة أصلها فى الطبيعة .

### الفصل التاسع :

ثم يتابع فى الفصل التاسع حديثه عن الصداقة الحقة الأصلية ، والصداقة الزائفة المؤقتة التى تزول بزوال المنفعة المترتبة عليها .

وكلما كان الشخص متسلحا بالفضيلة والحكمة بحيث يكبح جماح نفسه ويعف عن الدنايا أمكنه أن يكتسب الصداقة ، ويجنى ثمارها .

والصداقة الحقة هى التى لا تنبنى على توقع النفع ، فأننا حين نسدى لأصدقائنا معروفا ، فلا ينبغي أن نتوقع منهم رده اليانا ، كما لو كان ديننا من الديون . اننا لا نشهد الصداقة، انتظارا لما يترتب عليها من منافع ، اذ أن كل نفعها وثمارها تكمن فى المحبة ذاتها .

وإذا ما كانت الصداقة مبنية على المنفعة فإنها تنلشى  
بتلاشى هذه المنفعة • ولما كانت الطبيعة أبدية لا تتغير ،  
فان الصداقة الحقة كذلك خالدة وأبدية •

## الفصل العاشر :

فى هذا الفصل يشرح لايلوس العوامل التى تؤدى  
الى فصم عرى الصداقة ومجملها :

١ - اختلاف المنافع والآراء السياسية بين الأصدقاء  
وتناقضها •

٢ - ما يحدثه مرور الزمن من تقلبات وتغيرات  
مثل المحن ومشكلات الحياة ومسئولياتها •

٣ - التنافس على الجاه والشهرة والمناصب •

٤ - الطموح الى المنافع غير المشروعة التى تأبأها  
الأخلاق والعدالة ، والثنى توجب نيران العداوة فى الصدور  
إذا ما رفض الصديق أداها •

## الفصل الحادى عشر :

يعرض هذا الفصل للمطالب المشروعة التى لا ضير  
فى طلبها من الصديق ، والمطالب غير المشروعة التى لا ينبغى  
أن تطلب من الصديق •

فلا بأس في أن يطلب الصديق من صديقه كل ما هو فاضل ونبييل ، ولكن ليس له الحق في أن يطلب منه ما يجيد عن سبيل الفضيلة ، أو كان مخزياً ومعيباً ، إذ لا يمكن للصدقة أن تسود إذا ما تنكب الشخص طريق الصواب ، والشخص النبيل الخلق يربأ بنفسه عن أن يصعباً موضع الخزي نزولاً على نزوة صديقه ودفع الصديق إلى أداء عمل ضار يساوي تماماً ما لو فعله بنفسه .

## الفصل الثاني عشر :

فليكن إذن من مبادئ الصداقة ألا نطلب إلى أصدقائنا إذا- أعمال مخزية ، أو أن نقوم نحن بهذه الأعمال إذا ما طلبوا منا القيام بها .

ثم يورد أمثلة من التاريخ الروماني واليوناني ، ويرى أنه من العار أن يلجأ الشخص إلى تبرير أخطائه ، ليس فقط الأخطاء العامة ، وإنما أيضاً الأخطاء التي يرتكبها في سبيل الصداقة ، كما لو حاول تبرير جريمة الخيانة ضد الدولة بأنها كانت من أجل صديقه ، وينبغي لنا أن نرشد الصديق الطيب الصالح إذا ما أوقعته الصدفة في صداقة من هذا النوع ، نرشده إلى هجران صديقه إذا ما ارتكب جناية الخيانة ، إذ أنه ينبغي معاقبة الخونة كما ينبغي معاقبة أعوانهم بدرجة لا تقل قسوة عن عقوبة مدبري الخيانة أنفسهم .

## الفصل الثالث عشر :

فليكن اذن من المبادئ الأساسية للصدقة ، ألا نطلب من أصدقائنا الا كل ما هو شريف ونبييل ، وألا نفعل من أجلهم الا كل ما هو شريف ونبييل ، وألا ننتظر حتى يطلب منا ذلك وأن نكون دائما مستعدين لمساعدتهم دون تردد أو تقاعس ، وأن نقدم لهم نصحتنا دون أن يطلبوا منا ذلك ، وأن نقيم لنصيحتهم المخلصة وزنها •

ولا ينبغي أن ننأى بأنفسنا عن الصداقة المتحمسة المنفانية كما ينادى بذلك بعض فلاسفة اليونان - حتى لا يرهق الشخص نفسه فى سبيل الآخرين اذ أن لدى كل شخص ما يشغله من مشاكل واموره الخاصة ، والاهتمام بشئون الآخرين وقضاياهم سوف يحمله عبئا ثقيلا وينبغى للانسان أن ينأى بنفسه عما يرهقها ويفلفها ليحيا حياة سعيدة - ان الصداقة لبست كما يرى البعض مجرد نشدان الحماية والعون ، وليست نابعة عن مجرد العاطفة والرغبة الصادقة ، ولو كان الأمر كذلك لبحثت المرأة الضعيفة عن الصداقة أكثر مما يبحث عنها الرجال لأنها أكثر احتياجا منهم للحماية ، وكذلك لبحث عنها الفقراء أكثر من الأغنياء والرجال التوساء أكثر من السعداء •

ولا ينبغي لنا أن ننأى عن الأعمال النبيلة ضنا بأنفسنا على العناء والارهاق ، واذا ما وضعنا فى اعتبارنا ما يكلفه العمل النبيل من تعب وعناء ، فلا ينبغى أن ننسى



الجانب الآخر وهو الفضيلة فاننا اذا ما هربنا من المسئولية فاننا في الوقت ذاته نهرب من الفضيلة التي تحتقر الصفات التي تضادها وتعارضها ، فالشفقة تمقت الأذى وضبط النفس يهيمت التهور ، والشجاعة تمقت الجبن .

اننا لا ينبغي أن ننأى عن الصداقة لأنها تكلفنا بعض الجهد والعناء فلولا عواطفنا لما كان هناك فرق بيننا وبين الأحجار والأشجار ، وان الفضيلة تكمن في العلاقات والروابط المختلفة خصوصا رابطة الصداقة . وان قلب الرجل الفاضل يسر برخاء صديقه ويأسى لتعاسته وشقاقه .

#### الفصل الرابع عشر :

يعود في هذا الفصل فيتحدث عن كنة الصداقة وأصلها ، فيرى أنها تنجم عن ميل طبيعي متبادل بين الصديقين ، وانه لا شيء أروع من الحب المتبادل .

أما أولئك الذين ينشدون الصداقة للمنفعة والمصلحة فانهم يجردون الصداقة من أهم مقوماتها وأقدسها ، وان قيمة المنفعة الناجمة عن الصداقة لا يمكن أن تقاس الى حيننا لأصدقائنا في ذاته ، ان الصداقة ليست وليدة المنفعة وانما المنفعة هي وليدة الصداقة .

#### الفصل الخامس عشر :

في هذا الفصل يقول لايلىوس انه لا ينبغي لنا أن

نلقى بالآ الى أولئك الذين أقسدهم الترف حين يتكلمون  
عن الصداقة التي لا يعرفون عنها أى شيء سواء من الناحية  
النظرية أو العملية .

من هو بحق السماء الذى يفضل أن يعيش غارقا فى  
النعيم محاطا بكل أنسواع الترف على أن يكون محبا أو  
محبوبا ، ان مثل هذه الحياة الخالية من الحب هى حياة  
الطغاة التي تخلو من الولاء والمحبة والثقة والصلوات الوثيقة ،  
حيث يظلها دائما الشك والتوجس وعدم الاطمئنان وحيث  
لا يكون هناك محل للصداقة .

فمن ذا الذى يستطيع أن يحب رجلا يشعر بالخوف  
منه ، أو رجلا يترقب منه السوء ، والدليل على ذلك هو  
أن أمثال هؤلاء الطغاة يهجرهم أصدقاؤهم بعد أن نيناوى  
عروشهم .

وكذلك حال الرجل الفنى اذ ليس له أصدقاء  
حقيقيون ، ان الثروة ليست عمياء فحسب ، بل انها  
تصيب أيضا بالعمى أولئك الذين يتلون بها .

اننا نلاحظ أن الجاه والنفوذ والسلطة والغنى تغير  
نفوس الذين كانت تتميز أخلاقهم بالسماحة فيحتقرون  
أصدقاؤهم القدامى ، وينشدون أصدقاء جددا ، انهم قد  
يستطيعون بنفوذهم وسلطتهم وثروتهم أن يشتروا أى شيء  
ما عدا الصداقة التي يمكن أن تسمى عدة الحياة .

ان الحياة المجردة عن الصداقة لا يمكن أن تعد حياة سعيدة .

### الفصل السادس عشر :

فى هذا الفصل يتحدث عن حدود الصداقة ، فيعرض ثلاثة آراء فى هذا المجال :

**الأول :** أن نشعر نحو أصدقائنا بنفس الشعور الذى نشعر به نحو أنفسنا .

**الثانى :** أن عطفنا على أصدقائنا ينبغى أن يتساوى وعطفهم علينا .

**الثالث :** أن يقدر الشخص صديقه بمقدار ما يقدر نفسه .

ولا يوافق شيشرون على واحد من هذه الآراء الثلاثة .

فبالنسبة للرأى الأول يرى أن خطأه نابع من أننا قد نفعل أشياء لصالح أصدقائنا لا نفعلها أبدا لصالحنا الخاص ، فأننا من أجل الصديق قد نتوجه بالطلب أو الرجاء الى شخص ما ، وقد نخاطبه بحدة أو نهاجمه ، ومثل هذه الأشياء قد لا تكون مشروعة ولا مناسبة فيما يتعلق بنا من أمور ، أما بالنسبة لما يتعلق بأصدقائنا فهي مناسبة ومشروعة جدا ، وفى كثير من الأحيان يحرم الرجال النبلاء

أنفسهم من المنفعة ويؤثرون بها أصدقاءهم أو يسمحون لأصدقائهم أن يتمتعوا بهذه المنافع أكثر مما يتمتعون هم أنفسهم بها .

أما بالنسبة للرأى الثانى الذى يجعل الصداقة نوعاً من الأخذ والعطاء المتبادل فى الأعمال والرغبات المخلصة بين الأصدقاء فإن هذا الرأى ينحدر بالصداقة الى لون من ألوان الحساب ، ويوجب تعادل كفتى الميزان بحيث لا يرجح الشئ المبدول مقابله ولا ينقص عنه ، ان الصداقة الحققة أكثر غنى وتسامحاً من هذا ، فلا ينبغى أن نأسف لأن الجانب الأرجح كان من نصيب الصديق. ولا ينبغى أن نتوقع أنك سوف تحصل على أكثر مما أعطيت .

أما الرأى الثالث القائل بتقييم الشخص لصديقه بمقدار تقييمه لنفسه فهو أسوأ الآراء الثلاثة اذ كثيراً ما يكون أحد الصديقين خائر العزيمة ، ضعيف الطموح الى تحسين وضعه فمثل هذا الصديق لا ينبغى لصديقه أن يقيمه كما يقيم نفسه ، بل يجب عليه أن يبذل ما فى وسعه كى يقوم من روحه وعزيمته وأن ينمى آماله وأفكاره ويقويها .

## الفصل السابع عشر :

فى الفصل السابع عشر يتحدث عن الحدود الحقيقية للصداقة ، فىرى أنه من الواجب تقديم العون للصديق اذا

ما تعرضت حياته أو سمعته للخطر ، ولو أدى الأمر الى أن يتنكب الانسان الطريق سوى قليلا ، ما دامت النتيجة فى النهاية غير مشينة •

ولما كانت الصداقة هى أهم ما يملك الانسان ، لذلك ينبغى عليه أن يعنى بها أكثر مما يعنى بالأشياء الأخرى التى تدخل فى ملكيته ، هناك من يستطيع أن يخبرك عن عدد ممتلكاته من الماعز والأغنام ، ولكن ليس فى وسعه أن يخبرك عن عدد أصدقائه ، انه يهتم بالأولى ويهمل اختيار الأصدقاء ، وليس لديه من الدلائل والعلامات ما يساعده على معرفة الأصلح للصداقة •

ويجب علينا أن نختار أصدقاءنا من بين أولئك الأشخاص الذين يتصفون بقوة العزيمة وبعدم التردد والذبذبة ويتحلون بالخلق السوى ، أولئك الذين يندر وجودهم وانه يصعب على المرء فى الحقيقة أن يحكم على الصديق ما لم يجربه ، لذلك ينبغى أن نجرب الصداقة نفسها لنستمد منها الحكم على الأصدقاء ، وان الصديق لا يعرف الا فى وقت الشدة •

## الفصل الثامن عشر :

ابتداء من الفصل الثامن عشر ، وحتى الفصل العشرين يتحدث لايليوس عن الصفات التى ينبغى توافرها فى الصديق • وأول هذه الصفات أن يكون الصديق مخلصا

اذ لا تستقر الصداقة بدون الاخلاص وثانى هذه الصفات سلامة الطوية ، فينبغى أن نراعى لدى اختيار صديق أن يكون شخصيته واضحة غير ملتوية ، وأن يكون صريحا فى التعبير عن شعوره وأن يحس نحونا بمثل احساسنا نحوه ، فاذا ما كانت شخصية الصديق ملتوية أو لم يكن يتأثر بنفس الظروف التى تتأثر بها ولا يشاركنا مشاعرنا فانه لا يكون مخلصا ولا ثابتا على صداقته .

كما يجب ألا يفرح الصديق للاتهامات التى توجه الى صديقه ، أو أن يصدقها اذا وصم بها شخص آخر صديقه ، بل عليه أن يرفضها وينكرها ، وألا يخامره حنى مجرد الشك فى كذب هذه الاتهامات . كما ينبغى أن يكون هناك نوع من الحديث الرقيق العذب ، والسلوك المهذب النبيل بين الأصدقاء تلك المظاهر التى تمنح الصداقة دفئا من نوع خاص ، أما الجدية فى كل الأحوال فانها تؤدى الى نوع من الثقل على النفس ، فيجب أن تكون الصداقة منطلقة غير مقيدة وأكثر طلاقة وجاذبية من أى شىء لطيف آخر .

## الفصل التاسع عشر :

فى هذا الفصل يتحدث عن الصداقة القديمة . وكيف أن الشخص يفضل الصديق القديم على أن ينشئ صداقة جديدة ، وكيف يجب على الصديق اذا ما ارتفع

عن طريق الجاه أو الثروة أو العبقريّة ألا يتعالى على أصدقائه  
القديمي ، بل يجب أن يشركهم فيما وصل اليه من رفعة  
وأن يحاول أن يعلى من شأنهم .

## الفصل العشرون :

في الفصل العشرين يواصل حديثه عن الصفات التي  
ينبغي توافرها في الصداقة ، فيرى أنه ينبغي على الأصدقاء  
الذين يتفوقون على أقرانهم أن يحرصوا دائما على أن  
يشعروا أقرانهم بأنهم على قدم المساواة ، وعلى ذلك ينبغي  
لأولئك الأقران ألا يحزنهم تفوق أصدقائهم عليهم سواء في  
المواهب أو في الثروة أو في الجاه والمناصب ، ان أولئك  
الذين يكونون في مستوى أقل يشكون دائما من أن  
أصدقاءهم لا يهتمون بمصالحهم بالقدر الكافي ، أو يلومون  
أولئك الأصدقاء خصوصا عندما يتحدثون عن عمل قاموا  
به من أجل أولئك الأصدقاء المتفوقين ، وليس مستحسنا  
من الصديق أن يمن على صديقه بما أسدى اليه من أياد ،  
ومن واجب الصديق الذي أسدى اليه المعروف أن يتذكر  
ذلك من نفسه .

وينبغي للأصدقاء المتفوقين أن ينزلوا قليلا عن  
مستواهم ليرفعوا من مستوى أصدقائهم الذين هم أقل منهم  
شأنا ، والصداقات تتكون في مرحلة الرجولة وليست  
قبل ذلك .

وعلى الصديق أن يحذر الاستسلام لعواطفه اذا ما تعارضت هذه العواطف مع مصلحة صديقه وتسببت في تعطيلها ، كما اذا لم يحتمل الشخص فراق صديقه اذا ما رغب هذا الصديق في الرحيل لمصلحة تخصصه ، ان اعاقته عن مثل هذا السفر دليل على الضعف ، يجب أن تقدر ما يطلبه منك الصديق وأن تقدر في الوقت نفسه ما تعطيه له .

### الفصل الحادى والعشرون :

وفيه يتحلى عن العوامل المؤدية الى فصرم عرى الصداقة ، وأهم هذه العوامل أن تبدو من الشخص نقیصة يضار منها صديقه ، وفي هذه الحالة يقاطع الصديق صديقه بالتدريج ، الا اذا كان الخطأ فادحا وغير محتمل ، ففي هذه الحالة تفصرم عرى الصداقة فى الحال . وكذلك اذا ما تبدلت طبائع الشخص وميوله — كما يحدث أحيانا — أو اذا ما حدث خلاف فى وجهات النظر السياسية فان ذلك يؤدى الى فصرم عرى الصداقة ، ويجب فى هذه الحالة ألا يصل الأمر الى حد العداوة البغيضة بين الصديقين ، اذ أن أبغض شيء هو أن تدخل فى حرب ضد شخص كان يوما ما صديقك ، بل يجب على الانسان أن يحتفظ بحلمه وهدوئه وأن يتحكم فى زمام أعصابه ولا يترك الزمام للغضب يشتط به ، وألا تتحول الصداقة



الى عداوة وبغضاء ، ويجب أن يتذكر الشخص المضار  
أنهما كانا يوما ما صديقين ، وألا يعالج الشر بالشر ، انه  
بذلك يجعل الشخص المسيء جديرا باللوم والتقريع .

وتفاديا لكل هذه العوامل المؤدية الى قصم عرى  
الصدقة ينبغي أن « لا تتسرع في اتخاذ الصديق » وتأكد  
قبل كل شيء - أنه جدير بالصدقة .

## الفصل الثاني والعشرون :

في هذا الفصل يعرض بعض الملاحظات العامة حول  
الصدقة ، فيرى أن بعض الناس ينشدون أحيانا أصدقاء  
يتمتعون بمزايا لا تتوفر فيهم أنفسهم ، في حين أن الواجب  
أن يتحلى الشخص أولا بالأخلاق الفاضلة النبيلة ثم بعد  
ذلك يبحث عن قرين تنعكس شخصيته هو في طباعه  
وأخلاقه . أن هذا يجعل أساس الصداقة متينا ، كما يؤدي  
الى أن يحترم كل منهما الآخر ، وإذا فقدت الصداقة الاحترام  
المتبادل بين الصديقين ، فإنها تفقد أعظم شيء يزينها .

وان من الخطأ أن يعتقد الانسان أن في الصداقة  
متسعا للانغماس في جميع ألوان السلوك المشين ، فقد  
منحتنا الطبيعة الصداقة لتكون في خدمة الفضيلة ، لا أن  
تكون من أعوان الرذيلة ، وإذا ما امتزجت الفضيلة بالصدقة  
فانه يتكون بينهما نوع من الارتباط القوي يحقق للانسان

كل ما يصبو اليه من الشرف والمجد والطمأنينة والسرور ،  
هذه الأشياء التي بدونها يفدو الانسان تعسا .

لذلك ينبغي ألا ننساق الى الصداقة قبل أن نختبر  
أخلاق الصديق ونحكم عليها وألا نؤجل ذلك الى ما بعد  
الصداقة ، فكثيرا ما يكتشف أولئك الذين يعتقدون أن  
لهم أصدقاء حقيقيين أنهم مخدوعون عندما تلم بهم كارثة  
تمتحن فيها صداقة أصدقائهم .

### الفصل الثالث والعشرون :

في هذا الفصل يقيم الصداقة ، فيقول ان ما من أحد  
يشك في مزايا الصداقة ، باجماع الآراء ، فقد لا يابه بعض  
الناس بشأن المال ، أو يقنعون بالقليل منه ، وقد لا يابهون  
بشأن الجاه والمناصب التي تكون عادة مجالا للتطاحن ،  
وقد لا يابهون بغير ذلك من الأشياء الأخرى التي يمكن أن  
تكون منارا لاعجاب بعض الناس وطموحهم ، ما عدا الصداقة  
فانها تشغل ذهن جميع الناس ، يفكر فيها السياسيون  
والعلماء والأدباء ورجال الأعمال في أوقات فراغهم ، وحتى  
أولئك الذين يكرسون كل وقتهم للتسلية ، ان جميع هؤلاء  
يعتقدون أن الحياة الحقّة لا تساوى شيئا بدون صداقة ،  
ان الصداقة تضم بشكل أو بآخر حياة كل شخص ،  
ولا تسمح لأية طريقة من طرائق الحياة أن تشذ عنها ،  
لا يمكن لأى شخص أن يعيش بدون صداقة .

ان الطبيعة البشرية لا تميل الى الوحدة ولا تجد فيها  
كفايتها وسرورها .

## الفصل الرابع والعشرون :

فى هذا الفصل يرسم الحدود التى ينبغى أن تلتزمها  
المعاملة بين الأصدقاء . فىرى أن الصداقة قد تتعرض  
أحيانا لمواقف تكون فيها ماثارا للشك ، أو مبعثا للغضب ،  
وينبغى للرجل العاقل الحكيم أن يتجنب مثل هذه المواقف ،  
أو يهون من شأنها أحيانا ، أو يتحملها ما استطاع ذلك ،  
ان من واجب الصديق على صديقه أن يخلص له النصيح ،  
وأحيانا أن يتوجه اليه باللوم على بعض الأمور وهذا دليل  
عمق الصداقة والاخلاص ، وعلى الصديق الآخر أن يتقبل  
مثل هذه الأشياء بروح طيبة وألا يؤولها تأويلا سيئا .

ان التملق والتفاق قد يخلق الصداقة ، كما أن الصدق  
قد يخلق العداوة ، فالصدق الذى يثير غضب الصديق  
قد يعرض الصداقة للخطر ، ولكن التملق - مهما كان  
شأنه - أكثر سوءا من هذا الصدق ، فان مدح أخطاء  
الصديق وتبريرها قد يؤدي به الى التماذى فى هذه الأخطاء  
التي تقوده الى التهلكة .

وعلى كل فينبغى للصديق أن يكون حذرا ، وأن  
يتجنب العنف والقسوة فى نصيحته وأن يخفف لومه من  
الكلمات المؤذية القاسية ، وحتى لو تملق صديقه فينبغى

أن يكون حصيفاً في تملقه بحيث يتفق هذا التملق والأخلاق  
الدمثة المهدية وأن يبتعد عن التملق المروج للرديلة .

ان الحياة مع صديق تختلف عن الحياة مع طاغية .  
وينبغي للصديق أن يصغى لصوت الحقيقة الصادر  
عن صديق مخلص .

ويجب على الصديق أن يبغض الرديلة وينفر منها ،  
وأن يطرب للنصيحة ويهش لها .

### الفصل الخامس والعشرون :

في هذا الفصل يتابع حديثه عن التملق ، فيرى أنه  
من الصفات الأساسية في الصداقة أن تبذل النصيحة وتتقبله  
دون من أو استعلاء ، فعلى الصديق أن يمنح صديقه نصيحة  
بروح كريمة دون عنف أو قسوة ، وأن يتقبل منه النصيحة  
برضا ودون اشمئزاز أو نفور .

وانه لا شيء أسوأ في علاقات الصداقة من المداينة  
والكلام المنمق المعسول والتملق الكاذب ، ان هذه الأشياء  
تبعдна عن الحقيقة والاخلاص في القول التي لا معنى  
للصداقة بدونها .

ويجب أن ننأى بهذه الرابطة المقدسة عن مثل هذه  
الصغائر التي هي من خصال الرجال المخادع المذبذب ،  
وعلينا أن نميز الصديق المتملق المداين من الصديق الحقيقي  
المخلص ، كتمييزنا الشيء المثلّي الزائف من الشيء الحقيقي  
الخالص .

## الفصل السادس والعشرون :

فى هذا الفصل أيضا يواصل حديثه عن مساوىء التملق ، فيرى أن مثل هذا التملق الضار انما يسىء الى الشخص الذى يتقبله ويسر به ، فالشخص الذى ينتشى بكلام المنملقين انما يتملق فى الحقيقة نفسه ويخدعها ، وان الشخص الذى يدعى الفضيلة والنبل يسره أن يتملق الناس ، وان الصداقة تموت عندما يعزف الصديق عن الاصفاء الى الحقيقة من فم صديقه ، وقد لا يجد الصديق أمامه مفرأ من أن يلجأ الى طريق النفاق والمداهنة ، والمتملق يبانغ دائما فى ذكر الأشياء التى ترضى غرور الآخر وتسعده .

وبالرغم من أن التملق له أثره على أولئك المعجبين بأنفسهم ألا أنه ينبغى لأقوياء الشخصية أن يحذروا ذلك المتملق ، خاصة ذلك التملك الذكى الملفوف ، فان التملق المكشوف يمكن أن ينفضح بسهولة ولا يندع به الا الحمقى والأغبياء ، ولكن ينبغى أن نحذر ذلك التملق الخفى الحاذق .

## الفصل السابع والعشرون :

فى هذا الفصل يختم لايلىوس حديثه ، قيبيلور آراءه السابقة عن الصداقة ويلخصها فيقول :

- ١ - ان الفضيلة هي التى تخلق الصداقة وتهبها القوة.  
وصفة الاستمرار .
  - ٢ - انها ميل شخص لشخص آخر دون اجبار ،  
أو طمع فى نفع ، ولو أن الصداقة قد تستبيح المنفعة  
ولكن دون سعى اليها أو انتظار لها .
  - ٣ - التساوى فى العمر قد يساعد على الصداقة ،  
ولكن قد يصادق الانسان من هم أصغر منه سنا .
  - ٤ - يجب أن ننشد أصدقاء نتبادل معهم المحبة ،  
والا فقدنا جميع مسرات الحياة .
  - ٥ - لا شيء - باستثناء الفضيلة - يمكن أن يعادل  
الصداقة .
  - ٦ - ان الصداقة أجمل نعمة منحها السماء للأرض .
- 

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٤٩٩٨

ISBN — 977 — 01 — 3850 — 9



# مكتبة الأسرة



بسعر رمزي عشرة قروش  
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

الهيئة المصرية

00

Bibliotheca Alexandrina



0271471